

التلوث - نتيجة الجشع وفشل النظام

الخبر:

في الأيام القليلة الماضية، بدأ التلوث في كوالالمبور في الانخفاض. تراجعت قراءات مؤشر تلوث الهواء (API) في كوالالمبور من أكثر من 200 إلى حوالي 80. وشهدت معظم المناطق في ماليزيا أيضاً انخفاضاً في مؤشر تلوث الهواء على مدار الأسبوع. على الرغم من أن الجو المليء بالتلوث قد تحسن بشكل عام في البلاد، إلا أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ستبدأ قريباً جداً، "واعدة" بأن التلوث سيستمر وقد يزداد سوءاً. يحدث التلوث عبر الحدود في ماليزيا وإندونيسيا وسنغافورة كل عام تقريباً بسبب حرائق الغابات في إندونيسيا. حيث بدأت العديد من هذه الحرائق لتنظيف الأراضي الزراعية. في هذا العام، يعد حرق الغابات في سومطرة وكاليمانتان السبب الرئيسي وراء هذا التلوث الرهيب. ولسوء الحظ، فإن هذا يحدث كل عام تقريباً منذ التسعينات! من الواضح أنه يجب القيام بشيء ما - وقد تم التعبير عن هذا كل عام. ما هو واضح هو أنه من أجل حل هذه المشكلة المتكررة، من المهم للغاية أن ننظر إلى هذه المسألة من منظور مختلف - منظور يسلط الضوء على شهوات البشر اللانهائية ويتجاهل تماماً المسؤولية التي أعطانا الله سبحانه وتعالى لنا، بوضوح، مع عواقب مدمرة.

التعليق:

في 26 أيلول/سبتمبر 1997، قيل إن التلوث كان سبب تحطم طائرة إيرباص A300 B4-220 الإندونيسية الذي أودى بحياة جميع الركاب البالغ عددهم 234 راكباً وطاقمها بالقرب من ميدان إندونيسيا، حيث تم الإبلاغ عن مدى الرؤية على بعد 600-800 متر فقط. كما ألقى باللوم على التلوث أيضاً في التصادم بين سفينة وناقلة في مضيق ملقا في العام نفسه. على الرغم من أنه في سنوات معينة، يمكن إلقاء اللوم على ظاهرة النينو المسببة للضباب، والسبب الرئيسي في ذلك هو الحرق المفتوح الذي قام به المزارعون والشركات الزراعية لتنظيف الغابات للأغراض الزراعية. لفهم السبب في ذلك، يجب أن ننظر إلى القضية في سياق أوسع - سياق يأخذ في الاعتبار الطبيعة البشرية وسيطرة الشهوات الإنسانية المطلقة والرغبة في صنع القرار.

لقد أعطي الإنسان الغرائز والعقل للتفكير. نتخذ القرارات بناء على هذه الكليات. عندما قام المزارعون والشركات الزراعية بإشعال النار التي تسببت في التلوث، هيمنت غريزة البقاء على كلا الطرفين في هذا القرار. ومع ذلك، فإن ما يفرق هاتين المجموعتين هو الغرض من تحقيق هذه الغريزة. فمن جانب المزارعين الصغار، فهم يحرقون غابات الأرز من أجل البقاء، ولكن بالنسبة للشركات الرأسمالية، فإنهم يحرقون الغابات بشكل بحت من أجل الربح والمزيد من الأرباح. على الرغم من أن هذا ليس مبرراً للمزارعين الصغار لحرق الغابات للحصول على الغذاء، إلا أن المشكلة تزداد عمقاً لأنها تتعلق بالوفاء بالاحتياجات الأساسية (الغذاء والملابس والمأوى) التي

يفتقرون إليها من جانبهم. تعتمد سبل عيش هؤلاء المزارعين اعتماداً كبيراً على الزراعة صغيرة الحجم، ومن أجل البقاء على قيد الحياة يجبرون على اللجوء إلى حرق الغابات. من الواضح أن السلطات قد فشلت من جانبها في توفير الاحتياجات الأساسية لهؤلاء المزارعين، وهم مذنبون في الفشل في التخطيط لأنشطة زراعية لا تتسبب في أضرار للآخرين. على الجانب الآخر، تقوم الشركات الزراعية بأنشطة حرق مفتوحة لخفض التكلفة، ولا شك أن عنصر الجشع وتجاهل البيئة يلعبان دوراً كبيراً في تفاقم المشكلة. السلطات، مرة أخرى، كان ينبغي أن تفرض ضوابط صارمة من خلال إنفاذ القانون لضمان عدم تنفيذ الحرق المفتوح. لا يبدو الأمر كذلك فقط. فإن تكرار حوادث التلوث قد أثارت انتقادات متكررة ضد الحكومة الإندونيسية التي فشلت حتى يومنا هذا في توقيع اتفاقية مكافحة التلوث لدول رابطة أمم جنوب شرق آسيا المقترحة في 1998/1997. على الرغم من توفر التكنولوجيا والإجراءات المعروفة في تنظيف الأراضي للزراعة، فقد فشلت حكومة إندونيسيا مراراً وتكراراً في توظيفها للسيطرة على جشع الشركات.

مما لا شك فيه أن الافتقار إلى الإدارة والتخطيط بالإضافة إلى الجشع من جانب الجناة تسبب في العديد من الآثار الضارة على البشر. من الآن فصاعداً، يجب أيضاً مناقشة القضايا المتعلقة بالتلوث حيث شوهدت مختلف المساعي من جانب المجتمع البشري للتخفيف من هذه المشاكل. ومع ذلك، لا يزال التلوث قائماً، بل إن المشكلة تزداد سوءاً. أحد الأسباب الرئيسية لذلك يتلخص في مدى جدية الأمر بالنسبة لنا، حيث ينظر الإنسان إلى التلوث باعتباره مشكلة. أما الإسلام فإنه ينظر إلى مرتكبي التلوث باعتبارهم مذنبين. يحرم الإسلام جميع أنواع التهديدات والمضايقات للأفراد أو المجتمع أو الناس. يمكن فهم هذا أيضاً في سياق التلوث البيئي فالحكم الشرعي يطبق على جميع الأنواع الأخرى من المضايقات. قال رسول الله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، وقال: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ».

يمكن أن يعزى سياق هذه الأحاديث إلى أي شيء يمكن أن يلوث البيئة مثل الحرائق. من الواضح، نظراً لأن الإسلام ينظر إلى الملوّثين على أنهم مذنبون، فسيتم اتخاذ إجراء ضد الجناة. للأسف، لا يمكن القيام بذلك بدون جهاز دولة قوي. في ظل النظام الرأسمالي العلماني، فإن الدافع قائم على الجشع. فقط مع تطبيق الشريعة الإسلامية في ظل الخلافة، بما في ذلك جميع جوانب الحياة، سيتم التعامل مع قضية التلوث، واتخاذ الإجراءات الحقيقية لمنع ذلك.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. محمد - ماليزيا